

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[35] المدافعين الصليبين عنه، ولم تكن هذه المسألة في حسابان فرعون أبداً، ولا شك أن جمعاً من الناس قد اتّبعوا السّحرة وآمنوا بدين موسى. ولذلك لم ير فرعون بداً إلا أن يجمع كيانه ويلملم ما تبقي من هيئته وسلطانه عن طريق الصراخ والتهديد والوعيد الغليظ، فتوجّه نحو السّحرة و (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم). إن هذا الجبار المستكبر لم يكن يدعي الحكومة على أجسام وأرواح الناس وحسب، بل كان يريد أن يقول: إن قلوبكم تحت تصرّف في أيضاً، ويجب على أحدكم إذا أراد أن يصمّم على أمر ما أن يستأذني، وهذا هو العمل الذي يؤكّد عليه كلّ الفراعنة على إمتداد العصور. فالبعض - كفرعون مصر - يجريها على لسانه حمفاً عند إضطرابه وقلقه، والبعض يحتفظ بهذا الحقّ لنفسه ويبيّنه بصورة غير مباشرة عن طريق وسائل الإعلام، وطواير العملاء، ويعتقد بأنّ الناس يجب أن لا يعطوا الإستقلالية في التفكير، بل إنّه في بعض الأحيان قد يسلب الناس الحرية باسم حرية التفكير. وعلى كلّ حال، فإنّ فرعون لم يكتف بذلك، بل إنّه ألصق بالسّاحرين التهمة وقال: (إنّه لكبيركم الذي علّمكم السحر). لا شك أن فرعون كان على يقين ومعرفة تامّة بكذب كلامه وبطلانه، ولم يكن بالإمكان أن تحدث مثل هذه المؤامرة في جميع أنحاء مصر ويجهل جنوده وشرطته بالأمر، وكان فرعون قد ربّى موسى (عليه السلام) في أحضانه، وغيبته عن مصر كانت من المسلّمات لديه، فلو كان كبير سحرة مصر لكان معروفاً بذلك في كلّ مكان، ولا يمكن أن يخفى أمره. إلا أنّنا نعلم أنّ الطغاة لا يتورّعون عن إلصاق أي كذب وتهمة بخصومهم عندما يرون مركزهم الذي حصلوا عليه بغير حقّ يتعرّض للخطر. ثمّ إنّه لم يكتف بهذا، بل إنّه هدّد السّحرة أشدّ تهديد، التهديد بالموت، فقال: (فلا قطّعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمنّ أيّنا